



خطبة صلاة الجمعة 14 / 8 / 2015 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (حُسْنُ الكَلِمَةِ)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 90].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (هَذِهِ أَجْمَعُ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ لِحَيْرٍ يُمْتَلَّ، وَلِشَرٍّ يُجْتَنَّبُ).

روى الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ» [الترمذي].

### أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الخامسة والعشرون في سلسلة خطب عنوانها (فضيلة... أخلاق تعاملية)، بإمكانك التدرب على الخلق الحميد لتكتسبه، وبإمكانك التخلي عما علق بك مما لا يليق بمثلك. وهذا هدف السلسلة.

### عنوان خطبة اليوم: (حُسْنُ الكَلِمَةِ)

سبق في الخطبة الماضية حديثٌ عن حفظ الكلمة، وسأحدِّثكم اليوم عن حُسْنِ الكلمة، عن اختيار الكلمة الأحسن والعبارة الأكمل للوصول إلى أفضل مطلوب.

قد يتكلم امرؤ بكلام يخطئ فيه، فيإمكانك أن تقول له: أخطأت الكلام، وإمكانك أن تقول له: اسمح لي أن أخالفك في هذه المسألة!

إنه حُسْنُ الكلمة.

قد تضطر مدرسة لفصل طالبٍ ثلاثة أيام، فيإمكانها أن تصدر قراراً تعنونه: (قرار فصل) أو (قرار طرد)، ويمكنها أن تفعل الفعل نفسه وتعنون القرار بـ: ( قرار إخراج جزئي)!

إنه حُسْنُ الكلمة.

ربما رفع أحدهم صوته أمامك، فيإمكانك أن تقول له: اخفض صوتك لو سمحت، وإمكانك أن تقول: ما رأيك أن نغلق الباب حتى لا يخرج كلامنا خارج الغرفة!

إنه حُسْنُ الكلمة

إن الناس - أيها الإخوة- تتباين في الكلمة على قدر عقولها ومبلغ فطنها وحضور أذهانها.

وقد قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم: «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**» [البخاري].

وتقول العرب: أَتَقَدُّ مِنَ الرَّمِيَّةِ كلمةٌ فصيحة.

ومهما استطاع المرء فينا أن يُحَسِّنَ منطقَه ويُجَمِّلَ كلمته ويُلَطِّفَ عبارته فإنه يرقى بين الناس ويُؤَجِّر عند ربِّ الناس.

وها أنا أعرض عليكم في خطبة اليوم عشرات المواقف التي استخدم فيها أصحابها كلماتٍ حسنة فزاد شأنهم وعلا شأوهم.

لنتدرب جميعاً على الكلام الحسن والكلمة الراقية، كيف لا ونحن نسمع كلام ربنا ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83] ، ونقرأ قوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: 24].

وأوّل الحسن في القول وأكمل الكمال في الكلمة تجذونه في القرآن الكريم، ومن ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى فِي جَوَابِ قَوْمِ هود: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: 66] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 67] فَكُنِّي عَنْ تَكْذِيبِهِمْ بِأَحْسَنَ مِنْهُ، إذ لم يقل لهم: كذبتُم، بل اكتفى بالقول: ليس بي سفاهة.

ومن ذلك الكناية عن الجماع بالملامسة والمباشرة: ﴿أَوَلَمْ نَسْتُمِ السَّاءَ﴾ [النساء: 43] ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: 187] ليدرِّبنا القرآن الكريم على اختيار الكلمة الحسنة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ [يوسف: 23] كِنَايَةً عَمَّا تَطْلُبُ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَرْيَمَ وَابْنِهَا: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: 75] فَكُنِيَ بِأَكْلِ الطَّعَامِ عَنِ الْبَوْلِ وَالْعَائِطِ لِأَنَّهُمَا مِنْهُمَا إِذْ لَا بَدَ لِلْأَكْلِ مِنْهُمَا لَكِنْ اسْتَقْبَحَ فِي الْمُخَاطَبِ ذِكْرَ الْعَائِطِ فَكُنِيَ بِهِ عَنْهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ أَلْكُلُ﴾ [الفيل: 5] كُنِيَ بِهِ عَنْ مَصِيرِهِمْ إِلَى الْعَذَرَةِ فَإِنَّ الْوَرَقَ إِذَا أُكِلَ انْتَهَى حَالُهُ إِلَى ذَلِكَ.

ومن قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: 21] أَيْ: لِفُرُوجِهِمْ فَكُنِيَ عَنْهَا بِالْجُلُودِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ.

وفي سورة يوسف بعد أن اجتمع سيدنا يوسف بأبويه وإخوته: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100].

قال المفسرون: قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: مِنَ الْجُبِّ مَعَ كَوْنِهِ أَشَدَّ بَلَاءً مِنَ السِّجْنِ اسْتِعْمَالًا لِلْكَرَمِ، لِكَيْلَا يَخْجَلُ إِخْوَتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَهُمْ: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾. ليعلمنا القرآن الكريم حسن الكلمة.

-ثم تجدون حسن الكلمة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ففي الصحيح: (كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَيْقَظَ أَهْلَهُ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ). فَكُنُوا عَنْ تَرْكِ الْوُطْءِ بِشَدِّ الْمِئْزَرِ.

ويروي الشيخان وغيرهما واللفظ لأحمد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: دخل ناس من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك. فقال: «عليكم». فقالت عائشة: عليكم لعنة الله ولعنة اللاعنين، قالوا: ما كان أبوك فحاشاً. فلما خرجوا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما حملك على ما صنعت؟» قالت: أما سمعت ما قالوا؟ قال: «فما رأيتني قلت عليكم، إنه يصيبهم ما أقول لهم ولا يصيبني ما قالوا لي».

وأخرج الطبراني أنه سأل رجل العباس رضي الله عنه قائلاً: أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأجاب العباس على الفور: (رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا وُلدتُ قبله).

-ومن حسن الكلمة: حكوا أن الملك الفارسي أنوشروان -الذي وُلد رسول الله عليه الصلاة والسلام في عهده- أعلن في الدولة بأن من يقول كلمة طيبة فسيمنحه 400 دينار، وفي يوم كان الملك يسير بحاشيته في المدينة، ورأى فلاحاً عجوزاً في التسعينات من عمره وهو يغرس شجرة زيتون. فقال له الملك: لماذا تغرس شجرة الزيتون وهي تحتاج إلى عشرين سنة لتثمر وأنت عجوز في التسعين من عمرك، وقد دنا أجلك !!

فقال الفلاح العجوز: السابقون زرعوا ونحن حصدنا، ونحن نزرع لكي يحصد اللاحقون. فقال الملك: أحسنت، فهذه كلمة طيبة فأمر أن يعطوه 400 دينار فأخذها الفلاح العجوز وابتسم..

فقال الملك: لماذا ابتسمت؟

فقال الفلاح: شجرة الزيتون تثمر بعد عشرين سنة وشجرتي أثمرت الآن. فقال الملك: أحسنت، أعطوه 400 دينار أخرى، فأخذها الفلاح وابتسم. فقال الملك: لماذا ابتسمت، فرد الفلاح: شجرة الزيتون تثمر مرة في السنة وشجرتي أثمرت مرتين.. فقال الملك: أحسنت، أعطوه 400 دينار أخرى.

ثم تحرك الملك بسرعة من عند الفلاح فقال له رئيس الجند: لماذا تحركت بسرعة؟ فقال الملك: إذا جلست إلى الصباح فإن خزائن الأموال ستنتهي وكلمات الفلاح العجوز لا تنتهي. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه خرج يعسُّ المدينة ليلاً فرأى ناراً موقدة في خباء، فوقف وقال: (يا أهل الضوء). وكره أن يقول: يا أهل النار.

- كان لبعض القضاة جليس أعمى، وكان إذا أراد أن ينهض يقول: يا غلام، اذهب مع أبي محمد، ولا يقول: خذ بيده. قال: والله ما أخلَّ بها مرة.

- روي أن رجلاً أحضر طفله إلى مجلس أحد الخلفاء، فأراد الخليفة أن يختبر الطفل، فأراه خاتماً من الماس في يده وقال: رأيت أحسن من هذا الخاتم؟ أجاب الطفل: نعم اليد التي هو فيها. ثم سأله الخليفة سؤلاً آخر: أيهما أجمل دار أمير المؤمنين أم داركم؟ فأجاب الطفل: إذا كان أمير المؤمنين في دارنا كانت أجمل!!.

- كان لعبدالله بن الزبير رضي الله عنهما مزرعة في المدينة مجاورة لمزرعة يملكها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.. وفي ذات يوم دخل عمال مزرعة معاوية إلى مزرعة ابن الزبير.. فغضب ابن الزبير وكتب لمعاوية في دمشق وقد كان بينهما عداوة:

(من عبدالله بن الزبير إلى معاوية بن هند آكلة الأكباد، أما بعد.. فإن عمالك دخلوا مزرعتي فمرهم بالخروج منها أو فالذي لا إله إلا هو ليكونن لي معك شأن).  
فوصلت الرسالة لمعاوية وكان من أحلم الناس... فكتب إليه:

(من معاوية بن أبي سفيان إلى عبدالله بن الزبير ابن أسماء ذات النطاقين، أما بعد.. فوالله لو كانت الدنيا بيني وبينك لسلمتها إليك.. ولو كانت مزرعتي من المدينة إلى دمشق لدفعتها إليك.. فإذا وصلك كتابي هذا فخذ مزرعتي إلى مزرعتك وعمالي إلى عمالك).

فلما قرأ ابن الزبير الرسالة بكى حتى بلّغها بالدموع.. وسافر إلى معاوية في دمشق وقبّل رأسه وقال له: لا أعدمك الله حلاًماً أحلك في قريش هذا المحل.

- جاءت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل.

فقال لها: نَعَمْ الرجل زوجك، وكان في مجلسه رجل يسمى كعباً، فقال: يا أمير المؤمنين: إن هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباحته إياها عن فراشه.

فقال له: كما فهمت كلامها أحكم بينهما.

فقال كعب: عليّ بزوجه، فأخْضِر، فقال له: إن هذه المرأة تشكوك، قال: أي أمر طعام أم شراب؟ قال: بل في أمر مباحدتك إياها عن فراشك، ثم قال: إن الله تعالى أحل لك من النساء مثني وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة.

فقال عمر رضي الله عنه: لا أدري من أيكم أعجب أمن كلامها أم من حكمك بينهما، اذهب فقد وليتك البصرة.

**أيها الإخوة:**

هذه صور معدودات من حسن الكلمة أحببت أن أبثها بينكم لتحرض عند كل من يسمعها الاعتناء بالكلمة ليصير كلامنا حجة لنا لا علينا، لائقاً بأن يُدَوَّنَ في صحائف أعمالنا.

وختاماً كيف يتدرب أحدنا على الكلام الحسن:

1- كثرة قراءة القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهما مصدر الحسن في القول والفعل.

2- قراءة كتب الأدب التي تعنى بذكر مخاطبات الحكماء والعلماء والأدباء، وأنصحكم بكتاب: (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي، فقد تحدث فيما تحدث فيه عن مخاطبة الملوك والتنصل والاعتذار والاستعطاف والاسترحام وحسن التخلص ومراسلات الملوك والحكمة والبلاغة والأجوبة وسرعة البديهة والتنزه عن سماع الخنا وغيرها، من الأبواب التي تحفز المرء على استخدام الكلام الحسن وتدريبه عليه.

3- صحبة أصحاب الكلمة الحسنة، وهجر أصحاب البذاء والحمق.

والحمد لله رب العالمين